THE USA JOURNALS
THE AMERICAN JOURNAL OF SOCIAL SCIENCE AND EDUCATION INNOVATIONS (ISSN- 2689-100X)
VOLUME 06 ISSUE09

PUBLISHED DATE: - 04-09-2024
DOI: - https://doi.org/10.37547/tajssei/Volume06Issue09-02 **PAGE NO.: - 5-18**

RESEARCH ARTICLE **Open Access**

RHETORICAL TERMS IN THE BOOK SECRETS OF RHETORIC

Enaam Salih Mahdi
College Of Agriculture, University Of Diyala, Iraq

Abstract
In this study, we tried to illuminate the grammatical and rhetorical terms in Abdul Qaher Al-Jurjani's book Secrets of Rhetoric and follow the development of these terms and concepts in terms of controlling their meaning and determining the extent of their stability for Abdul Qaher Al-Jurjani.
We relied on several sources, the most important of which are the books "Secrets of Rhetoric," "Dala'il Al-I'jaz fiIlm Al-Ma'ani," and "Al-I'jaz fiIlm Al-Ma'ani" by Abdul Qaher Al-Jurjani, as well as modern references.
The reasons for choosing this topic are significant, as it allows us to delve into the concept of the grammatical and rhetorical term and its integration in Abdul Qaher Al-Jurjani's work, a crucial aspect of our understanding of rhetoric.
Therefore, this study aims to follow the grammatical and rhetorical terms in Abdul Qaher and demonstrate the strength of their stability and maturity.
This research is structured comprehensively, with an introduction, three in-depth chapters, a conclusive summary, and a comprehensive list of sources, providing a thorough exploration of the topic.
Section One: Introduction to the book Secrets of Rhetoric and its author
Section Two: Grammar in the book Secrets of Rhetoric
Section Three: Rhetorical terminology in the book Secrets of Rhetoric.

Keywords Grammar, Rhetorical Terminology, Secrets of Rhetoric.

INTRODUCTION

الخلاصة

حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على المصطلحات النحوية والبلاغية في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ومتابعة تطوّر هذه المصطلحات والمفاهيم من ناحية ضبط مدل ولها والوقوف على مدى استقرارها لعبد القاهر الجرجاني من ناحية أخرى.

وقد اعتمدنا في ذلك على عدد من المصادر أهمها : كتاب " أسرار البلاغة " وكتاب "دلائل الإعجاز في علم المعاني" وكتاب "الإعجاز في علم المعاني"، لعبد القاهر الجرجاني، والمراجع الحديثة.

وتعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى محاولة الكشف عن مفهوم المصطلح النحوي والبلاغي وتكامله عند عبد القاهر الجرجاني.

لهذا تهدف هذه الدراسة إلى تتبّع المصطلح النحوي البلاغي عند عبد القاهر، وتبيين قوة استقراره ونضجه عنده.

وقد جاء هذا البحث بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر.

المبحث الأول: التعريف بكتاب أسرار البلاغة وبمؤلفه

المبحث الثاني: النحو في كتاب اسرار البلاغة

المبحث الثالث: مصطلحات البلاغة في كتاب اسرار البلاغة

المقدمة

نشأت البلاغة العربية في أحضان القرآن الكريم، وشبّت خادمة له تعرب عن إعجاز بيانه ومقاصده الدلالية، توجه الناس في تأويله وتفسيره، على الرغم من تعدد مذاهب المفسّرين والمتكلمين وتباين آرائهم، وقد استطاعت بعد تكاتُف الجهود، وترادف المراحل أن تبلور مفاهيمها ومصطلحاتها وبعد أن اشتد عودها، صارت عِلمًا قائمًا بذاته، وأصبح لها قاموسٌ مصطلحي خاص بها، يعبّر عن آليات اشتغالها ومعاييرها التداولية.

ولعل عبد القاهر الجرجاني أحد أبرز الأوائل الّذين نظروا للبلاغة، وأرسوا أصولها وقواعدها العلمية.

والناظر إلى المؤلفات البلاغية في القرن الخامس الهجري يقف أمام منهجية علمية واضحة في وضع المصطلحات، أثبتت عبقرية هذا الإمام في معالجة المفاهيم البلاغية: (استعارة، تشبيه، حقيقة ومجاز، التجنيس، السجع).

وتبعا لذلك يخامر قارئ هذه المؤلفات تساؤلات عن رؤية عبد القاهر الجرجاني للبلاغة والنحو، وآرائه حول مصطلحاتها ومفاهيمها.

- فكيف كانت مواقفه من التصورات السّابقة، وما هي التصورات النوعية التي حققها؟
- وهل هناك إضافة علمية تميز طرحه عن طرح سابقيه من العلماء؟
- وما هي فلسفته في طرح هذه المصطلحات؟ وهل استفاد من طرحه من جاء بعده؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، حاولنا في هذه الدراسة تسليط الضوء على المصطلحات النحوية والبلاغية في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ومتابعة تطوّر هذه المصطلحات والمفاهيم من ناحية ضبط مدلولها والوقوف على مدى استقرارها لعبد القاهر الجرجاني من ناحية أخرى.

وقد اعتمدنا في ذلك على عدد من المصادر أهمها : كتاب " أسرار البلاغة " وكتاب "دلائل الإعجاز في علم المعاني" وكتاب "الإعجاز في علم المعاني"، لعبد القاهر الجرجاني، والمراجع الحديثة.

وتعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى محاولة الكشف عن مفهوم المصطلح النحوي والبلاغي وتكامله عند عبد القاهر الجرجاني.

لهذا تهدف هذه الدراسة إلى تتبّع المصطلح النحوي البلاغي عند عبد القاهر، وتبيين قوة استقراره ونضجه عنده.

وقد جاء هذا البحث بمقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر.

المبحث الأول: التعريف بكتاب أسرار البلاغة

المبحث الثاني: مصطلحات البلاغة في كتاب اسرار البلاغة

المبحث الأول

التعريف بكتاب أسرار البلاغة وبمؤلفه

1- دواعي تأليف الكتاب:

صرح الجرجاني بغرضه من التأليف فقال: واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنواعها، وأتتبع خاصها ومُشَاعَها، وأبين أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل، وتمكُّنَها في نِصَابه، وقُرْب رَحِمِها منه، أو بُعدها حين تُنسب عنه ..." [1] والمتأمل لهذا الغرض يجده يدور في فلك المعاني من عدة جهات:

- جهة كيفية الاختلاف والاتفاق.
- جهة مصدر الاجتماع والافتراق.
- جهة بيان أنواعها وأجناسها، وبيان خاصها ومشاعها.
- وجهة بيان مصدر المعاني أهو العقل أم الخيال.

وعلى هذا يتبين أن عبد القاهر الجرجاني أقام كتابه على نقض فساد القول القائل بأن فضيلة الكلام ترجع إلى اللفظ وحده دون معناه "كيف ؟ والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب." [2]

والمتأمل لهذا الغرض يلحظ وعي الشيخ -رحمه الله - بما يكتب، وحضوره في ذهنه وإدراكه لمسائله، فليس للفظ قيمة وحدة بل تبرز قيمته بالمعاني التي خرجت من فكر مؤلفها وأعمل عقله فيها. وإدراك ذلك يعيننا على الغاية الكلية وهي" الحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان، ويعدل القسمة بصائب القسطاس والميزان."[3]

وإن تأملنا ما قاله الشيخ -رحمه الله - عن التشبيه والتمثيل والاستعارة: "وهذا غرض لا ينال على وجهه، وطلبة لا تدرك كما ينبغي، إلا بعد مقدمات تقدم، وأصول تمهد، وأشياء هي

كالأدوات فيه حقها أن تجمع، وضروب من القول هي كالمسافات دونه، يجب أن يسار فيها بالفكر وتقطع.

وأول ذلك وأولاه وأحقه بأن يستوفيه النظر ويتقصَّاه القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة".[4] بأنه جعل هذه الفصول مقدمات تُمهد لغرضه مما يُقوض قول من عد كتاب الأسرار كتابا في علم البيان فمدار النظر فيه هذه الفنون وليس فيه حديث عن الكناية والاستعارة التمثيلية وهي من أهم علوم البيان[5].

2- منهج التأليف:

بنى الشيخ -رحمه الله - كتابه على مقدمة وخمسة فصول رئيسة أدرج تحتها كل ما يتصل بالفصل الرئيس من قضايا منبثقة منه، ولا ينتقل إلى غيرها إلا بعد أن يستوفي القول فيها. وهذا التقسيم يتلاءم مع غرض الكتاب من جهة، ويعين الدارس على تمييز الفنون البلاغية ومعرفة شواهدها والمسائل المرتبطة بها بعد أن كان الخلط سمة ظاهرة لبعض المؤلفات قبله.

3- منهجه في ترتيب فصول الكتاب:

رتب فصول كتابه بما يخدم غرضه من تأليفه مخالفا الترتيب الواجب في قضايا المراتب من البدء بالعام قبل الخاص . فالأصل البدء بالحقيقة والمجاز ثم الفنون الثلاثة التشبيه والتمثيل والاستعارة؛ لأن التشبيه أصل والتمثيل جزء منه والاستعارة مبنية عليه، والبدء بالمجاز قبل الاستعارة؛ لأنه أعم منها، لكنه عدل عن ذلك فبدأ الحديث بنقض القول القائل بأن الفضيلة في الكلام تعود إلى لفظه " وقد ذكر بعد شرح هذه المسألة ضروبًا من الكلام يتوهم في بدأ الفكرة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس إلى ما يناجي فيه العقل النفس، ثم ذكر الجناس، والحشو، وقاده الحديث إلى السجع، ثم التطبيق، والاستعارة، وكان هذا هو خط سير الكتاب؛ لأن الاستعارة فتحت الباب للتشبيه والتمثيل والفرق بينهما".[6]

وهكذا يُرتب عبد القاهر أبوابه ترتيبًا خاضعًا لما سماه "الواجب في قضايا المراتب" أعني الواجب في تصنيف مسائل العلم وبناء ثانيها على أولها، وجعل ثالثها مهادا لرابعها. وهو كما ترى تيقظ شديد لهذا الجانب من جوانب المعرفة، لأنه جزء منها، فلابد أن يقوم الكتاب على ضوابط فكرية ومنهجية، وإلا اختل أمره واضطربت مسائله. ومن الغريب أنك تقرأ في كلام القدماء والمحدثين أن الشيخ- رحمه الله- أهمل ترتيب كتابه ... فخالف ما قرره من البداية بالمجاز وذكر طرفا من الاستعارة لم يلتفت إليه من سبقوه، وأبرزه، وهو الاستعارة غير المفيدة، التي لم

تبن على التشبيه ... ثم قسم الاستعارة المفيدة قسمة عامية، فميز المكنية والتصريحية، والأصلية التبعية، وحدد فقه كل قسم من هذه الأقسام ولم يسمه بهذه التسميات، وإنما ذكر أقساما، وأنواعًا يتميز بعضها عن بعض." [7] ثم توقف عن الحديث عنها ليبدأ بالحديث عن التشبيه ويستكمل القول في الاستعارة في مكانها.

4- منهجه في عرض مادة الكتاب:

اتبع المؤلف-رحمه الله- في عرض فصول كتابه على عدد من المناهج الرئيسة في التأليف البلاغي:

أولاً: المنهج التأصيلي: يُعد عبد القاهر الجرجاني من جهابذة العلماء الذين أصَّلوا لعلم البلاغة ورسموا حدوده وأقاموا قواعده العامة. ويظهر ذلك في اهتمامه بتمييز الفنون البلاغية بعضها عن بعض وردها إلى أصول ثلاثة التشبيه والتمثيل والاستعارة. فكان يضع تعريفات جامعة مانعة وتقسيمات موضحة ليضبط حدود العلم لا أن يقيده بالحدود والرسوم، فيقضي على الحس البلاغي والذوق الأدبي، فالبلاغة صنو الجمال، والانشغال بالتقسيمات والتصنيفات تُحَولها إلى قواعد جامدة خالية من الحس، بعيدة عن الذوق. وغايته من وضع القواعد "أن يقيم دراسته على أسس علمية، لكنه يفرق بين العلم والفن في أن للأول قواعد مضبوطة يجب الأخذ بها، وليس للثاني قواعد جامدة ينبغي التمسك بها بل هي إشارات تهدي وترشد. ومن هنا يكون الفن قابلًا للتطور والتجديد ويكون الأديب أكثر حرية من غيره في التصوير"[8]. وقد يلجأ أحيانًا إلى اشتراط شرط ليُقيد المسألة ولا يتركها على إطلاقها.

ثانياً: المنهج الاستنباطي والجدلي: اتبع الجرجاني الاسئلة كوسيلة لاستنباط القواعد والأحكام ظهر ذلك في مواضع عدة من كتابة فهو يثير أسئلة ويفترض جدلًا يَرُدُّ عليه. تأمل تعليقه على بيت الفرزدق "فانظر أيتصور أن يكون ذمك للفظة من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه، أو صادفت وحشيا غريبا، أو سوقيا ضعيفا؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر، فكد وكدر، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر" [9].

فهو يدعو المتلقي إلى التأمل في البيت وإعادة النظر فيه ببصر نافذ ليهتدي إلى ما اهتدى إليه الشيخ من أن ما في البيت من تعسف في التركيب منع المتلقي من إدراك مراد الشاعر فوُصِف البيت بالتعقيد. وبهذه الطريقة يقود القارئ لموافقته ورؤية ما رآه .

وتأمل قوله في موضع آخر "فإن قلت: فإذن لا فرق بين استعارة طار للفرس وبين استعارة الشفة للفرس، فهلا عددت هذا في القسم اللفظي غير المفيد؟ ثم إنك إن اعتذرت بأن في طار خصوص وصف ليس في عدا وجرى، فكذلك في الشفة خصوص وصف ليس في الجحفلة .

فالجواب: إني لم أعده في ذلك القسم، لأجل أن خصوص الوصف الكائن في طار مراعى في استعارته للفرس، ألا تراك لا تقوله في كل حال، بل في حال مخصوصة وكذا السباحة، لأنك لا تستعيرها للفرس في كل أحوال حربه، نعم، وتأبى أن تعطيها كل فرس، فالقطوف البليد لا يوصف بأنه سابح " [10] فهو يرد على شبهة قد تقع في نفس المتلقي . واستعماله لهذا الاسلوب يدل على سعة علمه ودقة فكره أولا، وليكون وسيلته لإقناع القارئ ثانيا، وطريقة لدفعه إلى النظر السليم في النصوص ثالثًا.

ثالثا: المنهج التحليلي الفني: "وضع عبد القاهر الجرجاني أسس المنهج التحليلي في دراسة البيان أو المعاني العقلية ومسايرة العبارات لها ودلالتها عليها"[11] "وهذا المنهج يربط القاعدة بالذوق ويزاوج بين النظرية والتطبيق وهو أنضج مناهج التأليف البلاغي وأكثرها اكتمالًا".[12]

والمتتبع لكتابه –رحمه الله - يلحظ أنه يقدم لموضوعه ثم يتبع كلامه بنص يتحدث عمَّ أشار إليه في مقدمته. ويقودك بأسلوبه الرشيق، وذوقه العالي إلى تتبع الكلام فيضع يدك على مواضع الإجادة فيه أو النقص، وقد يطول الحديث والنقاش وقد يقصر حسب حاجة المقام لذلك. وخير ما يمثل هذا المنهج ما ذكره- رحمه الله- في فصل الشبه العقلي المنتزع من جملة أمور يقول:" ثم إن هذا الشبه العقلي ربما انتُزع من شيء واحد، كما مضى من انتزاع الشَّبه للفظ من حلاوة العسل وربما انتزع من عِدَّة أمور يُجْمَع بعضها إلى بعض، ثم يُستخرَج من مجموعها الشَبَهُ، فيكون سبيلهُ سبيلَ الشيئين يُمزَج أحدهما بالآخر، حتى تحدُث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يَجمَع بينهما وتُحفَظ صورتهما، ومثالُ ذلك قوله عز وجل : ثأَتأَأ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ◦ [13] الشبهُ منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودَعُ ثَمَر العقول، ثم لا يُحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدَّلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقُلُ عليه، ويكُدُّ جنبيه فهو كما ترَى مُقْتَضَى أمورٍ مجموعةٍ،

ونتيجةٌ لأشياءَ أُلفت وقُرن بعضها إلى بعض، بيانُ ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعَى من الحمار فعلٌ مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدل على العلوم، وأن يُثلَّثَ ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنه لا يحصلُ من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد، ولا يُتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحَمْلِ الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جَهْل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره فما لم تجعله كالخيط الممدود، ولم يُمزَج حتى يكون القياسُ قياسَ أشياءَ يُبالغ في مِزاجها حتى تَتَّحد وتخرُجَ عن أن تُعرَف صُورةُ كل واحد منها على الانفراد، بل تبطُل صُوَرها المفردةُ التي كانت قبل المِزاج، وتحدُث صورةٌ خاصة غير اللواتي عهدتَ، وتحصُلُ مَذَاقَةٌ لو فرضتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج، فرضتَ ما لا يكون لم يتمَّ المقصود، ولم تحصل النتيجة المطلوبةُ، وهي الذمُ بالشقاء في شيء يتعلق به غرضٌ جليلٌ وفائدةٌ شريفةٌ، مع جِرمان ذلك الغرض وعدمِ الوصول إلى تلك الفائدة، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سبباً إلى نَيْلِ شيء من تلك المنافع وال نعم " [14] فقد قاد ذهنك لإدراك كيف أن انتزاع وجه الشبه من التشبيه يختلف عن التمثيل الذي هو تشبيه صورة بصورة في أسلوب أدبي وتحليل منطقي سليم.

رابعا: المنهج النفسي: اهتم عبد القاهر الجرجاني بالأثر النفسي الذي تتركه العبارات في النفس فالسجع والتجنيس ليست جرسًا فقط بل إن جاءت عفو الخاطر فعلت في النفس فعل السحر، فالنفوس تميل للإيقاع وتطرب له، ويزيده جمالًا وأثراً؛ إن سلم من مزالق التكلف وحمل بين جنبيه معان شريفة.

وتطرق للأثر النفسي حين تحدث عن الاستعارة المفيدة فهي" أمَدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً ، وأذهبُ نَجْداً في الصناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْرَاً، وأملأ بكل ما يملأ صَدْراً، ويُمتع عقلاً، ويُؤنِس نفساً، ويوفر أُنساً، وأهدَى إلى أن تُهدِي إليك أبداً عَذَارى قد تُخُيرَ لها الجمال، وعُنِيَ بها الكمال وأن تُخرج لك من بَحْرها جواهرَ إن باهَتْها الجواهرُ مَدَّت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصرُ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسنَ لا تُنكَر..." [15]

وقد ذكر في فصل التمثيل الأثر النفسي له في مواضع متفرقة يقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت

عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا، فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح..."[16] ويقول في فصل التمثيل المحوج إلى طلب معناه بالفكرة "المعنى إذا أتاك ممثلا، في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ... ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، فالجواب إني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب، وإنما أردت القدر الذي يحتاج إليه في نحو قوله: فإن المسك بعض دم الغزال."[17]

خامساً: القيمة العلمية للكتاب:

يعد كتاب أسرار البلاغة واحدا من أهم كتب البلاغة والنقد التي ساهمت في إرساء قواعده. جمع فيه الجرجاني ما كتبه السابقون في مؤلفاتهم بعد أن استوعب قضاياها وضبط حدودها ورسومها وضمنها مؤلفه "أسرار البلاغة" ودلالة عنوان الكتاب تفيد الاستغراق، أي أسرار كل بلاغة وليس بلاغة اللسان العربي فحسب. فالكتاب إذن معقود للنظر في أسرار البلاغات وليس لمناقشة قضية الاعجاز التي ظهرت في عصره ، ووصلت البلاغة العربية على يده ذروة نضجها واكتمالها، وتكاملت علومها وفنونها، وصحيح أنه لم يفصل بين العلوم الثلاثة على النحو الذي استقرت عليه علوم البلاغة الثلاثة لكنه ساهم في بلورة أهم علمين المعاني والبيان على صورة لم يستطع البلاغيون اللاحقون أن يضيفوا لها شيئا ذا بال بل إنهم لم يستطيعوا أن يحتفظوا للبلاغة بهذا المستوى الذي أوصلنا عبد القاهر إليه، فلم يقيض لبلاغتنا-لسوء الحظ- أن تبقى طويلًا عند هذه الذروة الرفيعة التي بلغتها على يديه، إذ ما لبثت أن انحدرت إلى هوة الجمود والتكلف، وتحولت إلى مجموعة من القواعد الجافة المفتقرة للذوق والخاوية من الروح"[18]

المبحث الثاني

المصطلحات البلاغة في كتاب اسرار البلاغة

الكتاب قائم على مقدمة وخمسة فصول: المقدمة: تعد مقدمة المصنف تبيانًا لفكر الشيخ ومنهاجه. عرض فيها إلى فضل الإنسان عن الحيوان بالبيان، فبه تحصل الإبانة عمَّا في النفس، وبيان المعاني هو غايته ومطلبه. فليس للفظ - كما زعم المدعون - قيمة في ذاته، بل قيمته بالمعاني التي يعبر عنها ويكون صورة لها. قوض فيها أركان دعوى من قال بأفضلية اللفظ على المعنى، فليست الألفاظ إلا أوعية للمعاني تبع لها. وليست فنون البديع من سجع وجناس حسنها راجع للفظها وجرسها بل لما يتركه التوقيع الصوتي لها من أثر في النفس ودور هذا الجرس في بيان المعنى. تأمل الحسن الذي زخرت به أبيات "فلما قضينا من منى كل حاجة" والتي أرجع السابقون حسنها مقصورا على لفظها وليس تحتها كبير معنى. وختم المقدمة ببيان غايته من تأليف كتابه، فهو يذكر أولًا ما تعرفه من قضايا ليبني عليه ما لا تعرفه ترسيخًا للعلم [19].

1- **التشبيه والتمثيل وبيان الفرق بينهما:** عقد الفصل الأول في بيان التشبيه وأقسامه فالفرق بين التشبيه والتمثيل، ففصل في وجه الشبه وانتزاعه من الطرفين، فأمثلة في تأثر التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني... سار على هذا النمط يضع فصولًا صغيرة معنونة بعناوين فرعية مرتبطة بالعنوان الرئيس ومتدرجة حسب الحاجة لها.

ذكر في أول الفصل أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالأخر كان ذلك على ضربين:

أ- أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأول.

ب- أن يكون الشبه محصلا بشيء من التأول .

وهذا التقسيم هو مدار النظر في هذا الباب معتمدًا على التقاط المتلقي لوجه الشبه فإن كانت المشابهة من جهة اللون والهيئة والشكل أو ما شابه ولم يحتج إدراكها إلى تأمل فذاك التشبيه، وإن احتاج إدراك وجه الشبه إلى ضرب من التأول وقدح زناد الفكر فذاك التمثيل.

ومن هذين الضربين تنبثق الفصول المندرجة تحته فالإجمال في التقسيم قاده إلى بيان الأمر وتوضيحه بالشواهد والأمثلة. والتفصيل قاده إلى بيان الفرق بين التشبيه والتمثيل ثم بيان معنى التأول وأحوال وجه الشبه من انتزاعه من أمر أو عدة أمور . ثم بيان سبب تأثير التمثيل ومواقعه في الكلام ، ثم تحدث عن غرابة التشبيه والتمثيل والتشبيه المركب، ثم التشبيه المتعدد، والفرق بينه وبين المركب، ثم فصل في عكس التشبيه ثم ختم الحديث بإجمال الفرق بين التشبيه والتمثيل.

ومثل لذلك التشبيه " بالأسد في الشجاعة، وبالبحر في السخاء، وبالبدر في النور، والبهاء، وبالصبح في الظهور، والجلاء؛ ولأن هذا مما لا يختص قوما دون قوم، ولا

يحتاج في العلم به الى روية، واستنباط، وتدبر، وتأمل، وإنما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس، والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب"[20] . وعبد القاهر في جل طرحه لا يختلف كثيرا عما قاله العسكري[21].

2- **الفرق بين الإستعارة والتشبيه والتمثيل:** بدأ الحديث عنها حين فرغ من السجع والتجنيس وقسمها إلى قسمين رئيسين بعد أن عرَّف مفهومها هما: ما يكون لنقله فائدة، وما لا يكون لنقله فائدة. واستوفى القول فيها بعد أن عرَّف قسميها، ثم فصل القول في الاستعارة المفيدة، وبين ما لهذا الاسلوب من أثر في النفس. كما قرر اعتماد الاستعارة على التشبيه أبدا، وقسَّمها إلى مراتب حسب قرب التشابه من الحقيقة وبعدها عنه. وتضمنت هذه الدراسة فقرة من الفقرات التي تؤسس منهج النظر في القضايا البلاغية يقول الإمام "إن قال قائل: إن تنزيل الوجود منزلة العدم أو العدم منزلة الوجود ليس من حديث التشبيه في شيء...". [22] ثم عاود الحديث عنها بعد أن استوفى القول في التشبيه والتمثيل ففرق بينها وبين التشبيه وبينها وبين التمثيل. وتناول بين ثنايا موضوعات هذا الفصل أنَّ كل تشبيه لا يصلح للاستعارة وكل استعارة يمكن ردها إلى التشبيه. وبين المقصود من المبالغة، وتحليل شواهد شعرية أثرى بها موضوعه وختم الفصل ببيان العلة في الإطالة في بحث التشبيه التمثيل والاستعارة؛ فالقول فيها متسع لن يفيد فيه إلا التفصيل والتوضيح. والتركيز على دراسة هذه الفنون؛ لأنها من أظهر الأساليب التي يجتمع فيها العقل والخيال وتكون نسبة الخيال فيها عَلِية.

ومثل له بـ :

- تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر[23].
- التشبيه من جهة اللون ، ويمثل له بتشبيه الخدود بالورد، والشعر بالليل، والوجه بالنهار . وما جرى بهذا الطريق[24] .
- تشبيه الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور، والنرجس بمدهن در حشوهن عقيق[25].

3- **المعاني العقلية والتخييلية:** بعد أن استوفى الإمام القول في التشبيه والتمثيل والاستعارة والتي عدَّها مقدمات لغرضه دلف إلى الحديث عن المعاني العقلية والتخييلية يُفَصَّل القول فيها، " وهذا معناه أن الشيخ لما فرغ من المقدمات، وانتهى إلى الحديث في الغرض الذي هو دراسة المعاني أدخل هذا الغرض تحت معطف آخر هو السرقات وجعله بمنزلة المقدمة لها، وبهذا يجعل باب السرقات كأنه الغاية النهائية للدرس البلاغي، وهذا تفكير

مستقيم لأن دراسة باب السرقات خلاصة الفهم، للشعر و النثر، والكلام كله، استيعاب المعاني التي جعل دراسته مقدمة لها ." [26]

ففي هذا الفصل فصّل القول في معنى التخيلي والعقلي معتمدا على قربه من الحقيقة وبعده عنها. وبين أنواع كل منها واستحضر شواهد شعرية ونثرية وأحاديث نبوية يفصل القول تارة ويجمل أخرى. ونلحظ في هذا الباب كثرة استشهاده بالمقطوعات الشعرية وقلة تحليله لها .

وذكر فصولًا لها ارتباط بالتشبيه والاستعارة كتناسي التشبيه؛ لأنه مرتبط بفصل التخييل بغير تعليل الذي عقده. وذكر ما تجوز استعارته وما لا تجوز، وما يجوز فيه إسقاط ذكر المشبه. أن يكون الشبه مأخوذًا من الصّور العقلية كاستعارة "النور" للبيان والحجّة الكاشفة، و"الصراط" للدّين، فالشبه هنا عقلي مأخوذ من الأمور العقلية "فالنور للبيان" لا يتحصل عليه من جنس ولا من غريزة وإنّما هو صورة عقلية، وهذا الضرب هو أعلى درجات الاستعارة فعنده تبلغ غاية شرفها[27].

4- **الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة:** ثم انتهى للحديث عن الأخذ والسرقة قرر فيه أن المعاني الدارجة بين الناس لا يعد أخذها سرقة إنما تكون السرقة فيما ظهرت فيه صنعة الشاعر. واستعرض في ذلك عدد من الشواهد الشعرية. وتعد مادة هذا الفصل من أقل فصول الكتاب كمًّا وكأنه وضع أساسا لباب السرقات وترك المجال لعلماء آخرين لاستيفاء القول فيه.

ومثلاً أيضا من قبيل الخاص، كقول بعض العرب [الوافر]:

سَلَبْنَ ظِبَاءَ ذِي نَفَرٍ طُـلاَها ونُجْلَ الأَعْيُنِ البقَرَ الصُّوارا

«فقد أوهم أن ثم سرقة= وأن العيون منقولة إليها من الظباء وإن كنت تعلم إذا نظرت أنه يريد أن يقول إن عيونها كعيون الظباء...فإذا حققتَ النظر فالخصوص الذي تراه، والحالة التي تراها تنفي الاشتراك وتأباه، إنما هما من أجل أنهم جعلوا التشبيه مدلولا عليه بأمر آخر ليس من قبيل الظاهر المعروف، بل هو في حد لحن القول والتعمية اللذين يُتعمد فيهما إلى إخفاء المقصود حتى يصير المعلوم اضطرارا يُعرف امتحانا واختبارا»[28]

5- **الحقيقة والمجاز:** بدأ الحديث عن بيان الحقيقة من المجاز وعرف المجاز بأنه "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول". [29]وبين

CONCLUSION

Based on what we have detailed about the book Secrets of Rhetoric, the following becomes clear to us:

1. The book Secrets of Rhetoric is one of the books that established the method of examining the sciences of Arabic rhetoric.
2. Its temporal delay gave it a special advantage, allowing it to review what its predecessors wrote, make up for what they missed, and control its boundaries and outlines.
3. The book successfully achieved its intended purpose, which was to elucidate meanings using the arts of rhetoric as a tool.
4. The style of the book Secrets is high-level literary, and its language is refined, clearly showing the effect of being a speaker.
5. It relies on poetic evidence in the first place, then prose evidence and Quranic verses, because the book is dedicated to examining the eloquence of the Arabic language, not the miracle of the Quran.
6. Its interest in meaning stems from the claim of interest in the word that appeared in his era.
7. Al-Jurjani's method of analyzing evidence confirms that rhetoric is an aesthetic art.

REFERENCES

1. Evidence of the Miracle in the Science of Semantics, Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Farsi Al-Asl, Al-Jurjani Al-Dar (d. 471 AH), edited by: Mahmoud Muhammad Shaker Abu Faher, 3rd ed., Al-Madani Press in Cairo - Dar Al-Madani in Jeddah, 1413 AH - 1992 AD, p. 432.

2. Evidence of the Miracle in the Science of Semantics, previous source, p. 422.

3. The same source, p. 466.

4. The same source, p. 469.

5. Introduction to the Books of Abdul Qaher, Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, 1st ed., Wahba Library, Cairo, 1418 AH - 1998 AD, p. 143.

6. The same source, 145.

7. Introduction to the two books of Abdul Qaher, the previous source, 433.

8. Abdul Qaher Al-Jurjani, his rhetoric and criticism, Ahmad Matloub, 1st ed., Al-Matbouat Agency, Kuwait, 1393 AH - 1973 AD, p. 111.

9. Secrets of Rhetoric, Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Farsi Al-Asl, Al-Jurjani Al-Dar (d. 471 AH), read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press in Cairo, Al-Madani House in Jeddah, p. 77.

10. Secrets of Rhetoric, the previous source, p. 344.

11. Al-Bayan Al-Arabi, a historical technical study in the origins of Arabic rhetoric, Badawi Tabana, 2nd ed., Al-Risala Press, 1377 AH, 1958 AD, p. 71.

12. Arabic Rhetoric, Its History, Sources, Methods, Zayed, 4th ed., Maktabat al-Adab, Cairo, 1425 AH - 2004 AD, p. 88.

13. Surah al-Jumu'ah: Verse 5.

14. Secrets of Rhetoric, previous source, p. 399.

15. The same source, p. 405.

16. Secrets of Rhetoric, previous source, p. 423.

17. The same source, p. 433.

18. Arabic Rhetoric, Its History, Sources, Methods, previous source, p. 103.

19. Evidence of the Miracle, previous source, p. 7.

20. Secrets of Eloquence, previous source, p. 294.

21. See Kitab al-Sina'atayn, Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl ibn Sa'id ibn Yahya ibn

Mahran al-'Askari (d. around 395 AH), edited by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, al-'Ansariyya Library - Beirut, 1419 AH, p. 177.

22. Evidence of the Miracle, previous source, p. 522.

23. Kitab al-Sina'atayn, previous source, p. 177.

24. See Evidence of the Miracle, previous source, p. 470.

25. Secrets of Eloquence, previous source, 1/68.

26. Introduction to the Books of Abd al-Qahir, previous source, p. 211.

27. Secrets of Eloquence, previous source, p. 65.

28. The same source, 316-317.

29. The same source, p. 412.

30. Secrets of Rhetoric, previous source, p. 395.